



بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِیْمِ  
السَّلَامُ عَلَیْكُمْ وَرَحْمَةُ اللّٰهِ وَبَرَکَاتُهُ  
تصميم: مایة

ملزمة الأخلاق الإسلامية وآداب المهنة

اعداد : زخات مطر

## المحاضرة الأولى

### ● تعريف الخلق وطبيعته ومكانته في الإسلام

#### أولاً- تعريف الخلق:

#### الخلق لغة:

بضم الحاء واللام الطبع والسجية. أي ما جُبِلَ عليه الإنسان من الطبع. وجمعه أخلاق. وهو - أي الخلق - يمثل صورة الإنسان الباطنة، التي هي نفسه التي بين جنبيه وأوصافها ومعانيها المختصة بها. كما أن الخلق يمثل صورته الظاهرة وأوصافها ومعانيها.

#### واصطلاحاً:

حَالٌ لِلنَّفْسِ مَرَا سِخَةٌ تُصَدَّرُ عَنْهَا الْأَفْعَالُ مِنْ خَيْرٍ أَوْ شَرٍّ مِنْ غَيْرِ حَاجَةٍ إِلَى فِكْرٍ وَمَرَوِيَّةٍ. وبهذا المعنى ورد قول الله سبحانه في مدح نبيه محمد صلى الله عليه وسلم: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ .

● وقد يطلق الخلق على نفس المبادئ والقواعد المنظمة للسلوك الإنساني على نحو يحقق الغاية من وجوده في هذا العالم على الوجه الأكمل. وبهذا المعنى ورد قول الرسول صلى الله عليه وسلم: (إنما بعثت لأتمم صالح الأخلاق).

#### شرح التعريف وتوضيحه:

- أما التعريف الأخير فواضح لا لبس فيه، إذ إن الصدق والسخاء والرحمة والعدل وحب الخير للناس كلها أخلاق حميدة، وفضائل مسلمة، يسعى عقلاء الناس للتحلي بها، وتربية أبنائهم عليها.
- وأما التعريف الأول فهو الذي يكتنفه بعض الغموض، ويحتاج إلى توضيح، فنقول:
- يُقصد بـ (الحال): الهيئة والصفة للنفس الإنسانية.
- و (مراسخة): أي ثابتة بعمق. وهو ما يعني أن الأفعال تتكرر من صاحبها على نسق واحد حتى تصبح عادة مستقرة لديه. ومن ثمَّ كان من ينفق المال مرة أو مرتين أو ثلاث مرات على المحتاجين لا يوصف بخلق السخاء والجود، بل لا بد من تكرره منه بحيث يصبح عادة له.
- و (من غير حاجةٍ إلى فكرٍ و مرويةٍ): أي من غير تكلف أو مجاهدة نفس، بل بسهولة ويسر وبطريقة تلقائية.
- يقول الإمام الغزالي رحمه الله: "الْخُلُقُ وَالْخُلُقُ عبارتان مستعملتان معاً، يقال: فلانٌ حسنُ الخُلُقِ والْخُلُقِ. أي: حسن الباطن والظاهر. فيراد بالْخُلُقِ الصورة الظاهرة، ويراد بِالْخُلُقِ الصورة الباطنة. وذلك لأن الإنسان مركبٌ من جسدٍ مدركٍ بالبصر، ومن روحٍ ونفسٍ مدركٍ بالبصيرة. ولكل واحد منهما هيئةٌ وصورةٌ: إما قبيحةٌ، وإما جميلةٌ. فالنفس المدركة بالبصيرة أعظم قدراً من الجسد المدرك بالبصر، ولذلك عظم الله أمره بإضافته إليه، إذ قال تعالى: {إني خالقٌ بشراً من طين، فإذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين} فنبه على أن الجسد منسوب إلى الطين، والروح إلى رب العالمين، والمراد بالروح والنفس في هذا المقام واحد".

**ثانياً- موضوع علم الأخلاق:**

يبحث علم الأخلاق في الأحكام القيمة المتعلقة بالأعمال التي توصف بالخير أو الشر، أو توصف بالمحسن أو القبح، وهذا ما يميز الأخلاق عن الغرائز والدوافع؛ لأن الغرائز والدوافع هي الحاجات التي فطر الله الإنسان عليها كحاجته للأكل والشرب والنكاح والنوم . . . وهي أشياء لا تستوجب لصاحبها مدحاً ولا ذمماً، ولا ثواباً ولا عقاباً، فإن مدح الإنسان أو ذم على شيء من ذلك، كان المقصود ليس نفس الفعل، وإنما طريقة صاحبه في تلبية تلك الحاجة، أو إشباع تلك الرغبة. فمن يأكل لا يمدح ولا يذم على فعله ذلك، وإنما يمدح إن أكل مما يليه ويهدوء، ومضغ الطعام جيداً، وبدأ باسم الله، وانتهى بحمد الله، فهذا يمدح على فعله هذا، بخلاف من أكل بشراهة، وأدخل اللقمة على اللقمة، وجالت يده في القصة . . . فإنه يذم على فعله ذلك.

### ● **ثالثاً- أقسام الخلق:**

يمكن تقسيم الخلق إلى قسمين اثنين باعتبارين مختلفين:  
 أولهما باعتبار الفطرة والاكنتساب: وبهذا الاعتبار ينقسم الخلق إلى:

#### **أخلاق فطرية:**

جبل الإنسان عليها أي هي هبة ومنحة من الله تعالى، وليس للإنسان أي دور في اكتسابها. مثال ذلك قول النبي صلى الله عليه وآله وسلم لأشج عبد القيس المنذر بن عائد وكان وافد عبد القيس وقائدهم ورئيسهم - وعبد القيس قبيلة- (إن فيك خصلتين يجبهما الله: الحلم، والأناة) فقال: أشيء جُبلت عليه، أم شيء حدث لي؟ فقال الرسول صلى الله عليه وآله وسلم: (بل شيء جُبلت عليه). فقال: الحمد لله الذي جبلني على ما يجبه الله ومرسوله".<sup>0</sup> قال النووي: الحلم هو العقل. والأناة هي الثبوت وترك العجلة. وسبب قول النبي صلى الله عليه

وسلم ذلك له ما جاء في حديث الوفد أنهم لما وصلوا إلى المدينة بآدمروا إلى النبي صلى الله عليه وسلم وأقام الأشج عند مرحالهم فجمعها وعقل ناقته ولبس أحسن ثيابه ثم أقبل إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقر به النبي صلى الله عليه وسلم وأجلسه إلى جانبه

**أخلاق مكتسبة:**

• يسعى الإنسان في تحصيلها بالتدريب والممارسة العملية، ومن خلال مجاهدته لنفسه .  
ومن قول النبي صلى الله عليه وآله وسلم كما في الصحيح: (العلم بالتعلم، والحلم بالتحلم).

• ثانيهما باعتبار القبول وعدمه شرعاً: وبهذا الاعتبار ينقسم الخلق إلى:

- ١- خلق حسن: وهو الأدب والفضيلة وتنتج عنه أقوال وأفعال جميلة عقلاً وشرعاً .
- ٢- خلق سيئ: وهو سوء الأدب والرذيلة وتنتج عنه أقوال وأفعال قبيحة عقلاً وشرعاً .
- ولقد جاءت دعوته ﷺ إلى فضائل الأخلاق، فقد أسامة بن شريك قال: (كنا جلوساً عند النبي ﷺ كأنما على رؤوسنا الطير، ما يتكلم منا متكلم، إذ جاءه أناس فقالوا: من أحب عباد الله تعالى؟ قال: (أحسنهم خلقاً) وحسن المخلق من أكثر الوسائل وأفضلها إيصال المرء للفوز بحجة رسول الله ﷺ والظفر بقره يوم القيامة حيث يقول: (إن أحبكم إلي وأقربكم مني مجلساً يوم القيامة أحسنكم أخلاقاً)

#### • رابعاً: مكانة الأخلاق في الإسلام

- يقسم كثير من الباحثين المعاصرين ما جاء به الإسلام من تشريعات وأحكام إلى شعب أربعة هي: عقائد، وعبادات، ومعاملات، وأخلاق. وربما قسمها بعضهم

إلى ثلاث شعب فدجوا بين العبادات والمعاملات، فقالوا: عقيدة، وشرعة، وأخلاق. وهذا التقسيم إنما يصح بالنظر إلى الجهة الغالبة في تلك القضايا والمسائل التي تناولتها نصوص الشرع، وإلا فعند التأمل وإنعام النظر نجد أن هذه الشعب الثلاث أو الأربع لا تنفك عن بعضها، وأنها متداخلة متعاضة كالبيان يشد بعضها بعضاً. فالأخلاق التي يرد ذكرها في آخر الشعب لا تنفك عن العقيدة والعبادات والمعاملات، وهي في نفس درجاتها ومستوياتها من الأهمية والطلب. بل إنها تمثل جوهر رسالة الإسلام ولب شرعها، بكل ما تحمله كلمة الأخلاق من عمق وشمول.

• وبيان ذلك من وجوه:

- حث الإسلام على الفضائل وحذر من الرذائل في نصوص لا تحصى من القرآن والسنة، ووصل فيها إلى أعلى درجات الإلزام، ورتب عليها أعظم مراتب الجزاء، ثواباً وعقاباً، في الدنيا والآخرة. فالصدق يهدي إلى البر، والبر يهدي إلى الجنة، والكذب يهدي إلى الفجور، والفجور يهدي إلى النار. وامرأة دخلت النار في هرة حبستها لا هي أطعمتها، ولا هي دعنها تأكل من خشاش الأرض. وبغي دخلت الجنة في كلب سقته. والمرء يبلغ بحسن خلقه درجة الصائم لا يفطر، والقائم لا يفتر. ...
- بلغ من عناية الإسلام بالأخلاق أن الله سبحانه حين أثنى على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم في القرآن الكريم اختار الثناء عليه من جهة أخلاقه ليُعلمنا أنه لا أبلغ ولا أرفع من هذه الصفة. فقال تعالى: {وإنك لعلى خلق عظيم}.
- جعل الرسول صلى الله عليه وسلم الغاية والهدف من رسالته إتمام البناء الأخلاقي الذي بدأه من سبقه من الأنبياء والمرسلين، فقال فيما يرويه أبو هريرة رضي الله عنه: (إنما بعثت لأتمم صالح الأخلاق)
- في باب العقائد نجد أن الإسلام يضيف على التوحيد صبغة خلقية، فيعتبره من باب "العدل" وهو فضيلة خلقية، كما يعتبر الشرك من باب "الظلم" وهو رذيلة خلقية، فيقول سبحانه: {إن الشرك لظلم

عظيم} وذاك لأنه وضع للعبادة في غير موضعها، وتوجه بها إلى من لا يستحقها. بل اعتبر القرآن الكريم الكفر بكل أنواعه ظلماً، فقال تعالى: {والكافرون هم الظالمون}.

• والعبادات الإسلامية الكبرى ذات أهداف أخلاقية جلية منصوص عليها في كتاب الله:

• فالصلاة وهي العبادة الأهم في حياة المسلم، لها وظيفة سامية في

تكوين الوازع الذاتي، وتربية الضمير الديني على الابتعاد عن

الردائل. قال تعالى: {وأقم الصلاة، إن الصلاة تنهى عن الفحشاء

والمنكر} وهي كذلك تعين المسلم على مواجهة متاعب الحياة. قال

تعالى: {يا أيها الذين آمنوا استعينوا بالصبر والصلاة}.

• والزكاة وهي العبادة التي تلي الصلاة في الأهمية، وسيلة لتطهير

وتزكية النفس، وهما من الأهمية بمكان في عالم الأخلاق. قال

تعالى: {خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها}.

• والصيام إنما يقصد به تدريب النفس على الكف عن شهواتها، وإدخال

صاحبها في سلك المتقين، وهي جماع الأخلاق الإسلامية. قال تعالى:

{يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم

لعلكم تتقون}

• والحج تدريب للمسلم على التطهر والتجرد والترفع عن زخارف

الحياة، وضبط الجوارح. قال تعالى: {الحج أشهر معلومات، فمن

فرض فيهن الحج فلا رفث ولا فسوق ولا جدال في الحج}.

• وفي مجال المال والاقتصاد كان للأخلاق حضورها سواءً في ميدان

الإنتاج أم التداول أم التوزيع أم الاستهلاك.

• ففي مجال الإنتاج يجب أن تكون السلعة المنتجة نافعة مفيدة، وأما ما

كان ضاراً بالناس أو مؤذياً لهم فلا يجوز إنتاجه مهما كان سيئاً

لصاحبه من أرباح مادية. قال تعالى: {يسألونك عن الخمر والميسر،

قل فيهما إثم كبير ومنافع للناس وإثمهما أكبر من نفعهما}.

• وفي مجال التبادل يحرم الإسلام الاحتكار والغش وكتمان العيب،

وإنفاق السلعة بالحلف الكاذب، واستغلال حاجة الآخرين أو استغلال

بساطتهم أو طيشهم لخداعهم ففي الحديث الصحيح: "لا يحتكر إلا

خاطئ" أي آثم. وفيه أيضاً: "من غش فليس منا". وفيه: "الحلف

الكاذب منفقة للسلعة ممحقة للبركة. والتملك، لا يجوز للمسلم أن

يتملك ثروة من طريق خبيث، ولا يحل له أن يأخذ ما ليس له بحق لا بالعدوان ولا بالحيلة. كما لا يحل للمسلم الملك بطريق خبيث، لا يحل له تنمية ملكه بطريق خبيث كذلك لهذا حرم الله الربا والميسر، وأكل أموال الناس بالباطل، والظلم بكل صورته، والضرر والضرار بكل ألوانه.

- وفي مجال التوزيع أمر بالعدل بين الأولاد في العطية من الوالدين، كما وضع نظاماً دقيقاً في توزيع الميراث، والصدقات المفروضة، والغنائم والفيء والخراج والجزية وعطايا بيت المال. فقال صلى الله عليه وسلم: (اتقوا الله واعدلوا بين أولادكم)
- وفي مجال الاستهلاك والإنفاق أمر الإسلام بالاعتدال والتوسط، والابتعاد عن الترف، والتبذير والإسراف والتقتير. قال تعالى: {ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك ولا تبسطها كل البسط فتقعد ملوماً محسوراً}. وقال أيضاً: {وكلوا واشربوا ولا تسرفوا، إنه لا يحب المسرفين}. ومن هذا الباب تحريمه لاستعمال أواني الذهب والفضة مطلقاً، وكذا تحريمه لبس الذهب والحريز على الرجال.

- وفي مجال السياسة ربط الإسلام السياسة بالأخلاق، ففرض كل الأساليب القادرة للوصول إلى الغايات مهما كانت تلك الغايات نبيلة، ورفض مبدأ "الغاية تبرر الوسيلة" وجعله سياسته مبنية على الصدق والرحمة والعدل والإنصاف والمساواة بين الجميع في الحقوق والواجبات والعقوبات، وفرض احترام الاتفاقات، والوفاء بالعهود. قال تعالى: {وإما تخافن من قوم خيانة فانبذ إليهم على سواء} وقال جل شأنه: {وبعهد الله أوفوا..} وقال أيضاً {ولا يجرمنكم شنآن قوم على أن لا تعدلوا اعدلوا هو أقرب للتقوى}.
- وفي مجال الحرب لم تنفصل سياسة الإسلام عن الأخلاق، بل بقيت كما في السلم مبنية على العدل والرحمة والصدق والوفاء. قال تعالى: {وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين} ، وقال جل في علاه: {ولا يجرمنكم شنآن قوم أن صدوكم عن المسجد الحرام، أن تعتدوا، وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان، واتقوا الله إن الله شديد العقاب}. وجعل الغاية من الحرب إعلاء كلمة الله، والانتصار للحق والخير. قال تعالى: {الذين آمنوا يقاتلون في سبيل الله والذين كفروا يقاتلون في

- سبيل الطاغوت، فقاتلوا أولياء الشيطان} وقال جل جلاله: {وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا، إن الله لا يحب المعتدين}. وفي السنة أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يوصي أصحابه إذا توجهوا للقتال بقوله: "اغزوا باسم الله، وفي سبيل الله، وقاتلوا من كفر بالله، اغزوا ولا تغلوا، ولا تغدروا، ولا تمثلوا، ولا تقتلوا وليدًا) وكذلك كان الخلفاء الراشدون المهديون من بعده يوصون قوادهم: "ألا يقتلوا شيخاً، ولا صبياً، ولا امرأة، وألا يقطعوا شجراً، ولا يهدموا بناءً".
- وهكذا فما من مجال من مجالات الحياة يعيشها المسلم بمعزل عن القيم الأخلاقية والضوابط السلوكية، وما هذا الذي ذكرناه إلا غيبض من فيض.
  - والحمد لله رب العالمين

## المحاضرة الثانية

### أسس الأخلاق في الإسلام

يقوم النظام الأخلاقي في الإسلام على ثلاثة أسس هي: الأساس الاعتقادي، والأساس الواقعي والعلمي، ومراعاة الطبيعة الإنسانية.

#### ● أولاً - الأساس الاعتقادي:

- يتمثل الأساس الاعتقادي للأخلاق الإسلامية في ثلاثة أركان هي:
- الركن الأول: الإيمان بوجود الله تعالى الذي خلق الكون وخلق الإنسان وخلق الموت والحياة وهو بكل شيء من الماضي والحاضر والمستقبل عليهم، حتى إنه ليعلم

ما يدور في خلجات الأُنفس من خير أو شر كما قال تعالى: [وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ  
وَنَعَلَمُ مَا تُسْوِسُ بِهِ نَفْسَهُ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ] ﴿ق:١٦﴾

• أهمية الأساس الاعتقادي:

- هذا الأساس الاعتقادي بهذا المفهوم - المعتمد على الإيمان بالله وبالرسالات السماوية  
وبالحياة بعد الموت والحساب - في غاية الأهمية في الاتجاه الأخلاقي في ديننا، وهو  
السند الذي يُعتمدُ عليه في إقامة النظام الخُلقي الإسلامي، وفي عملية الالتزام به.

وبدون هذا الأساس تفقد الأخلاق قدسيتها، وتأثيرها في الإنسان، بل يستحيل أن  
تطبق تطبيقاً عملياً دقيقاً في السر والعلن، من غير أن يكون لهذا الأساس في قلوب  
البشر مكاناً راسخاً، ومن غير أن يؤمنوا به إيماناً صادقاً.

وليس هذا أساسٌ للسلوك الأخلاقي فحسب، بل كذلك للحياة؛ إذ لا معنى للحياة -  
في الحقيقة - دون وجود هذا الأساس ودون الاعتماد عليه.

### ثانياً - الأساس الواقعي والعلمي:

إذا كان الإسلام قد دعا إلى المثالية والسمو الروحي، وذم الذين  
أخذوا إلى الأرض وشهواتها، فإن دعوته إلى المثالية كانت واقعية،  
وكانت وسطاً بين نظرتين متطرفتين هما:

• أولهما: دعوات مروحية تدعو الإنسان إلى محاربة الطبيعة، وعدم الاستسلام لها،  
مهما جابهته ضغوطات الحياة ومهما كانت شدتها؛ واعتبروا سعادة الإنسان، وسموه  
الروحي وخلصه من آلام الحياة إنما تتم بمحاربة الطبيعة، والتسامي عليها.

• ثانيهما: دعوات للطبيعيين الذين أخذوا إلى الأرض، وقدموا الطاعة لدواعي هذا الركون والخضوع للأرض ومتطلباتها؛ واعتبروا سعادة الإنسان إنما تتم باستجابته لمتطلبات الطبيعة.

### **تابع للأساس الواقعي والعلمي: القانون الأول - قانون المحافظة على الحياة:**

- اعتبر الإسلام كل سلوك من شأنه أن يحافظ على الحياة وينميها سلوكاً أخلاقياً، وكل سلوك يضر الحياة أو يعوقها بصورة من الصور يعد سلوكاً غير أخلاقي.
- ومن هنا كان القتل حراماً أخلاقياً، وكذا تهديد الآخرين وإخافتهم، والتحاسد والتباغض والتدابير حراماً أخلاقياً.
- وكان من الواجب احترام الناس، والمحافظة على أرواحهم وأعراضهم ودمائهم، والسعي لنفعهم ما أمكن حفاظاً على الحياة.

### **تابع للأساس الواقعي والعلمي: القانون الثاني - تكاثر النوع الإنساني:**

- اعتبر الإسلام كل سلوك من شأنه أن يؤدي إلى إبقاء النوع وتحسينه سلوكاً أخلاقياً مراقباً، فشرع الزواج وحث عليه، ونهى عن التبتل أو الرهبانية كما في حديث أنس بن مالك رضي الله عنه، قال: جاء ثلاثة مرهط إلى بيوت أنس النبي صلى الله عليه وسلم، يسألون عن عبادة النبي صلى الله عليه وسلم، فلما أخبروا كأنهم تقالُّوها، فقالوا: وأين نحن من النبي صلى الله عليه وسلم؟ قد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر.

قال أحدهم: أما أنا، فإني أصلي الليل أبداً، وقال آخر: أنا أصوم الدهر ولا أفطر، وقال آخر: أنا أعتزل النساء فلا أتزوج أبداً. فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم إليهم، فقال: "أنتم الذين قتلتم كذا وكذا، أما والله إني لأخشاكم لله وأتقاكم له، لكني أصوم وأفطر، وأصلي وأرقد، وأتزوج النساء، فمن مرغب عن سنتي فليس مني".

### • تابع للأساس الواقعي والعلمي: القانون الثالث - الارتقاء العقلي والروحي:

• اعتبر الإسلام كل سلوك من شأنه أن يؤدي إلى السعادة والإقبال على الحياة بمحبة وانسراح وينمي العقل ويحافظ عليه سلوكاً أخلاقياً مراقباً، وكل سلوك يصاد ذلك كأن يجعل الإنسان يعيش في عزلة من الناس متشامساً قلقاً، أو يضر بعقله ويجعله مريضاً أو متخلفاً مستسلماً للجهل والخرافات سلوكاً غير أخلاقي.

• ومن ثم فقد حث على العلم وصلة الرحم ومحبة الآخرين والرحمة بهم، والرضا بقضاء الله وقدره، كما في الحديث: "لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه"، وفي حديث آخر: "عجباً لأمر المؤمن، إن أمره كله خير، وليس ذاك لأحد إلا للمؤمن؛ إن أصابته سراء شكر، فكان خيراً له، وإن أصابته ضراء صبر، فكان خيراً له".

### • ثالثاً - مراعاة الطبيعة الإنسانية:

• الإسلام ينظر إلى الإنسان على أنه روح، وجسد، وعقل، وقلب، ومشاعر، وعواطف. وأن هناك صراعاً بين طبيعة الإنسان وتكوينه المادي الذي يميل إلى الأمراض

والتراب الذي خلق منه، فيستجيب للأهواء والشهوات وينساق لها، ومروحه العلوية التي هي من نفخ الإله، وتدعوه إلى السمو والرقى والمثالية.

• والمطلوب هو التنسيق بين هاتين الطبيعتين في الإنسان، وتوجيهه إلى السلوك الذي يليق به بصفته أشرف مخلوق على ظهر الأرض، وصاحب رسالة خُلق من أجلها في هذه الدنيا.

• والمرجع في هذا التنسيق هو الشرع الذي جاء به نبينا محمد صلى الله عليه وسلم من رب العالمين تبارك وتعالى.

• ومن هنا كان هذا الأساس على جانب كبير من الأهمية في الدراسات الأخلاقية، وذلك لما بين سلوك الإنسان، وطبيعته التي جبله الله عليها من صلة وثيقة، ولأن نجاح أي نظام أخلاقي يتوقف على مدى انسجامه مع واقع هذه الطبيعة.

### المحاضرة الثالثة

### خصائص الأخلاق الإسلامية

تمتاز الأخلاق الإسلامية بجملة من الخصائص تميزها عن غيرها من الأنظمة الأخلاقية، وتعطيها وجودها وطابعها المتفرد والمستقل، وهي:

### أولاً- الانبثاق عن عقيدة الإسلام:

الأخلاق الإسلامية مرتبطة بالعقيدة ارتباطاً قوياً وعميقاً؛ بحيث يستحيل الفصل بينهما . وما أكثر النصوص التي تربط بين الإيمان وحسن الخلق؛ حتى إنها تجعل الإيمان، هو نفسه حسن الخلق، كيف لا؛ وحسن الخلق يقتضي شكر المنعم (الإله)، والاعتراف بفضله، والثناء عليه، والوقوف عند حدوده بامثال أوامره، واجتناب نواهيه . وأي عقوق أعظم من أن يتمرد الإنسان على خالقه ومولاه، ويتكبر لجميله، ويخالف أمره ونهيه، كما هو الشأن في الكفار والمنافقين .

### ثانياً- الشمول:

تتنوع الأخلاق الإسلامية وتشمل جميع المجالات، ومن هذه المجالات:

- ١- خلق مع الله ومع رسله عليهم السلام: ومردت نصوص كثيرة من الكتاب والسنة تبين خلق المسلم مع الله ومع أنبيائه، من ذلك: قوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَنْ يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ ﴿النور: ٥١﴾ . وقوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْدُمُوا بَيْنَ يَدَيْ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ ﴿الحجرات: ١﴾ ، فخلق المسلم مع الله تعالى ومع أنبيائه عليهم السلام يمثل في السمع والطاعة لما جاء، والتسليم والرضا به دون أخذٍ أو مردٍ، أو تقديم اقتراحات أو آراء مع رأي الشرع .

٢- خلق مع المسلمين: النصوص في بيان ما ينبغي أن يتحلى به المسلم مع المسلم، من الأخوة والإيثار والنصح والمحبة والتعاون والنصرة والولاية أكثر من أن تحصى. من ذلك قول النبي صلى الله عليه وسلم: "المسلم أخ المسلم؛ لا يظلمه، ولا يخذله، ولا يحقره، بحسب امرئ من الشر أن يحقر أخاه المسلم، كل المسلم على المسلم حرام؛ دمه وماله وعرضه".

### ثالثاً- الثبات:

يقصد بالثبات أن الفضائل الأساسية للمجتمع من صدق ووفاء وأمانة وعفة وإيثار مرتبطة بنظام الشريعة العامة، وهي أمور لا يستغني عنها مجتمع كريم، مهما تطورت الحياة، وتقدم العلم بل تظل قيماً فاضلة ثابتة.

إن الأخلاق في الإسلام لا تتغير ولا تتطور تبعاً للظروف الاجتماعية والأحوال الاقتصادية، بل هي حواجز متينة ضد الفوضى والظلم والشر، كما قال الله تعالى: {تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَعْتَدُوهَا وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ} {البقرة: ٢٢٩}. ويمكن إيجاز العوامل التي جعلت أخلاق الإسلام ثابتة في سببين، هما:

الأول: أنها مرتبطة بالفطرة البشرية: والفطرة تتصف بالثبات، ويرثها الأحفاد عن الآباء والأجداد، كما في الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم: (كل مولود يولد على الفطرة) فالخلق فطرة.

### رابعاً- الجمع بين الواقعية والمثالية:

فأما كون الأخلاق في الإسلام واقعية فتعني أنها عملية وقابلة للتطبيق، ولا يستعصي على أحد من الناس تطبيقها وتجسيدها في حياته.

وأما كونها في الوقت ذاته مثالية أيضاً فتعني أن في الناس من تتوق نفسه إلى معالي الأمور، ولا يرضى لنفسه بأن يكون كسائر الناس، ولا يشبع ذلك نهمه ومرغبته في التسامي بخلقته، ومرغبته في التحلي بالفضائل، ففسح الشرع له ذلك المجال.

فالإسلام مراعى بتشريعه استعدادات هذا وذاك من الناس، ولم يحملهم على ما لا يطيقون، وما يمكن أن تمله نفوسهم وتتقاصر عنه، فشرع العدل وذلك بأن يصل كل ذي حق إلى حقه، ولكن دعاه في الوقت ذاته إلى الإحسان وهي مرتبة فوق العدل، فيها التضحية والصفح والتجاوز، قال تعالى في تقرير قاعدة العدل: **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَايُنْ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ** [المائدة: ٨].

#### خامساً- الوسطية:

وتعني أن الأخلاق الإسلامية وسطٌ بين طرفين متضادين. وتتجلى هذه الوسطية والاعتدال في جوانب الدين كله:

ففي نظرة الإسلام إلى تكوين الإنسان كان وسطاً بين:

غلاة المثاليين الذين يعتبرون الإنسان روحاً علوية محبوسة في الجسد ويجب عليه أن يتحرر منه.

غلاة الواقعيين الذين يعتبرون الإنسان جسداً فقط ويتكبرون للروح ومتطلباته.

فجاء الإسلام وقرر أن الإنسان مخلوق مركب من عقل وشهوة، وفيه استعداد للتقوى والفجور، وقد بين الله له طريق الخير وطريق الشر بوساطة أنبيائه ومرسله، ثم ترك له

حرية الاختيار، فقال تعالى: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا \* فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا \* قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا \* وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا﴾ (٧-١٠) سورة الشمس.